الباب الاول

في العلماء

العلماء ورثة الانبياء . او كما اقول انبياء لا يوحى اليهم . او كما يقول الناس رؤساء الدين . هم الملقى اليهم قياد العقول . هم المعهود اليهم ايجاد الشعور والوجدان الحاكم على كل محكوم وحاكم . هم الذين تلقى اليهم فطرة الله التي فطر الناس عليها ليحيوها او يميتوها . هم الذين اعطو الحكم على الامة في الحقيقة وهم هم الملوك في الاسلام عند تحقيق النظر

العالم لا يكون عالماً حقاً الا ان ظهر اثر علمه في قومه وبلغ شريعة ربه وكان في الامة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها من جهة العلم والارشاد . العالم مسئول عن نفسه وعن غيره امام الله فلا يكفيه ان يصلح نفسه دون ان يسعى في اصلاح قومه ايضاً . العالم الحقيقي شمس مشرقة صاعدة من الافق الاعلى يرتبط بها كمال الموجودات . وعين جارية يتوقف عليها امر الحياة * العالم هو الدواء السريع والعلاج النافع والطبيب الحاذق الذى تصح به اجسام الامم ونفوس الاشخاص . هو الذى يرتبط به كل سعادة وشقاء لانه الموكول

اليه امر العقائد والوجدانات والاخلاق والملكات والمبادي، التي تسعد وتشقي وتميت وتحيي · العالم هو الملك لان شعور الملك ومبدأه وتكوين عقله ونظره صورة من حال معلمه · الا ترى قصة معاوية ابن يزيد حين تبرأ على المنبر من عمل والده وسلك من العدل نقيض ما سلكه فاتهم اعوان الظلم معلمه بانه هو الذي دسّ له ذلك في تعليمه وهو الذي ولعه بمحبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

العالم هو الوزير والامير والحارس والقاضي والكاتب وصاحب الشرطة والزارع والصانع وهو الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة باجمعها فان احسنوا او اساؤا فللعالم نصيب مما عملوا · ذلك لان كل انسان يعمل على وفق مبدأه واستعداده والعلماء هم الموكول اليهم امر هذه المبادئ وهم بحسن وعظهم وكمال ارشادهم وقوة تاثيرهم قادرون على اصلاح تلك المبادي وافسادها · وعلى جلب الشرور وابعادها وهم هم الملقاة تبعة كل تقصير عليهم والراجع كل خير اليهم لان من وظيفتهم القيام بين الناس بالارشاد والاقناع والوعظ وقوة التأثير حتى يوجدوا في الناس ملكات ثابتة لفعل الخير ورغبة شديدة الى كل كمال · وعليهم ان يستعملوا عقولهم في ايجاد الطرق المتنوعة والاسباب التي يمكن ان يصل اليها

العقل الانساني (ولا حد له) الموديه الى مقصودهم بلا فتور ولا كسل

العالميه عبئ ثقيل ومرتبة شاقة الاعمال كثيرة المتاعب . اذا وجهت الى عبد من عبيد الله فحق عليه ان لا يفرح من اجل انه رقي بين الناس منصباً يأهله لان يتصدر وتقبل يده مثلاً . بل عليه ان يفكر وينظر ويدعو الله ان يوفقه لاداء واجباتها والقيام بمهماتها فانما وجه اليه امر عظيم لا يقوم الانسان بحقه الا بتعب جسمه وعقله وان اهمل كان من اسفل السافلين

العالم اذا اصبح اصبح مجاهداً في سبيل الله ولا كن لا بالسيف والحراب المعلومة بل بسيف اقطع وسلاح امضى الا وانه قوة الفكر وفصاحة النطق يقضي بهما ما شاء الله ان يكون وعظاً وارشاداً وتعليماً . بينما تجده في درسه يقرر خفيات المسائل في العلوم المختلفة تجده قد خرج يخالط الناس على اختلاف طبقاتهم كانه واحد منهم يرشد هذا بالعباره وذاك بالاشارة . هذا بالاحاديث وهذا بالآيات هذا بالحجج العقلية وهذا بالمشاهدات والمكتشفات . طوراً يستشهد بحال الصحابة والتابعين . وطوراً بحال فلاسفة اليونان وحكماء الاوروباو يين . وبينما تجده مع الملوك والامراء في قصورهم تجده مع

الفقراء في اكواخهم ومع التجار في حوانيتهم ومع الزراع في حقولهم لاتفتر له همة ولا يتراخى له عزم ولا يزال يتفنن فى طرق التعليم ووسائل الارشاد كما يقتضي الحال · يخاطب كل انسان بلغته وعلى قدر عقله وبالاسلوب الذي يناسبه · لاينتظر ان يأتى الناس اليه ولا كن هو يسعى لكي يعلمهم ويرشدهم

وظيفة العلماء

العلماء لاتنحصر وظيفتهم في تعليم الطلاب فنون العلم في المدارس الدينية بالكيفية الجارية الآن* بل هي على الحقيقة اعم من ذلك واشمل وانفع · وظيفة لها دخل في سائر الاعمال والاحوال · وترتبط بسائر الامور الدنيوية والاخروية · لان العالم يعتبر موءسس المبدأ الذي يسير عليه الانسان ويبنى عليه سائر افعاله المتعلقة بالمعاش والمعاد · وواضع الخطة التي تجري عليها الامة في سائر شوءونها المادية والادبية وغيرها

وهو وان لم يمكنه ان يقوم للانسان بسائر ما يلزمه ويعلمه جميع ما يحتاج اليه من العلوم والاداب والصنائع · فلا شك ان ذلك كله يكون مبنياً ومركباً على القواعد العموميه والخطط الاساسيه التي يعطيها العالم للامة ويغرسها اولاً في افكار الناس · فهو الذي ينبغي ان

يرشد الى السعادة الروحانية . واللذائذ العقلية . والاسرار التشريعية . ويحمل على الكمال في الاخلاق والاعمال والتعبد . وهو الذي ينبغي ان يرشد الى فوائد السياحه واقتباس النافع من المدنية الحاضرة والسفر الى اوروبا والاندراج ضمن تلامذة مدارس الطب والصنائع والكليات الجامعة الى غير ذلك . بل بجوار المدارس الدينيه ينبغي ان تبنى مدارس الفنون المتنوعه . والصنائع المختلفه . لتزدحم بتلامذة المسلمين بناءً على اوامر المدرسة الدينية وارشادات العلماء

ويمكننا الآن ان نقول على وجه الاجمال ان وظيفة العلماء تنقسم الى ثلاثه اقسام . تعليم . وارشاد . وقيام بالوظائف الدينيه من نحو الافتاء والقضاء

اما التعليم فمراتب (اولها) تعليم صغار المسلمين واطفالهم في المدارس الابتدائيه المسماه الان (بالمكاتب) و (ثانيها) تعليم جمهور الناس (والثالث) التعليم العالي في نحو الازهر والجامع الاحمدي . ولا جرم ان كل واحدة من هذه المراتب ضرورية وتحتاج الى ما لايحتاج اليه غيرها من الاساليب . وتخالف اختيها في الكمية والكيفية . بل قد تنقسم الوسطي والتي بعدها الى اقسام شتى . فان تعليم المتنورين من متخرجي

المدارس مثلاً لا يكون ابداً كتعليم الباعة والزراع والصناع* ولكن من موجب الاسف ان علماءنا اعرضوا عن المرتبتين الاوليين ولم يعيروهما اقل التفات مع انهما من اتم الضروريات اللازمة التي يتوقف عليها تقدم الامة وحسن نشأتها في امري الدين والدنيا . بل هما اللذان ينبغي ان يكونا ثمرة هذا التعليم العالي الذي يشتغلون به في المدارس الدينيه و يضيعون فيه الاعمار من غير ان يعود على الامة منه فائدة تذكر . على انه في الحين الذي يأنف فيه العلماء من القيام بهذين الواجبين ارى انهم لا يمكنهم ان يقوموا بهما حق القيام . اي نعم هم يكبرون ان يكونوا فقهاء مكاتب مثلاً ولا ارى منهم من فيه تمام الاهليه لتولي هذه الوظيفة السامية التي هي مفتاح السعادة للمسلمين في سائر بقاع الارض . لان امر التربية ليس بالامر الهين ولا تكفي له معلومات النحو والفقه والاصول والبلاغة . واني ارجو من صميم قلبي ان يوجد الله بيننا علماء مرشدين عارفين باصول الاداب واساليب التربية ليكونوا بدل فقهاء المكاتب في كافة انحاء القطر بل وفي سائر البلاد الاسلاميه

واما الارشاد فاعني به الحث على العمل باوامر الدين سواء فيما يتعلق باقامة الصلاة وايتاء الزكاة او ما يتعلق باحياء الصناعات والقيام

بالمطالب القومية والحاجات الاجتماعية والتفنن في اساليب الكمال والاخذ بالشيء المناسب . وتنمية الشعور الديني وتنشيط الهمم وتقوية العزائم على القيام بسائر انواع الكمال التي يدعو لها الدين لامر الدنيا وامر الآخرة . اذ لايخفى ان مجرد المعرفة لاتكفي للعمل . فقد تقوي الشهوات وتؤثر العادات فلا يعمل الانسان بما يعلم . بل قد ينسى ما علم . والارشاد يضمن اصلاح هذا الفساد بل هو اعظم اساس يبنى عليه هيكل الاصلاح الاسلامي والكمال الانساني . ومما يوجب الاسف ان هذه الوظيفة السامية لايقوم بها العلماء الآن ايضاً وقد بني على اهمالها ما نراه باعيننا من النقص العظيم وعلى قواعد هذا الاهمال ثبتت جدرانه القوية التي قد لايهدمها الا معاول القدرة القاهرة والروح الالهي ان شاء الله تعالى

واما الوظائف الدينية فلا نعني بها كل ما له تعلق بالعلم بل ما للعلم مدخل كبير وتاثير فيه واهمها القضاء والافتاء . ومنها الخطابة لانها صاحبة المقام الاول في التعليم والارشاد وقد كانت من وظائف الخلفاء . واعم لوازمها قوة التأثير وهي تكون من العالم اكثر من غيره

وهذه الامور وان كان هناك من يقوم بها الآن ولكن من الصعب

ان يقال انها اخذت حظها من العناية والكمال فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

كمال العلماء

العالم لايستحق اسم الكامل حقاً الا اذا كان كاملاً في علمه . كاملاً في تعليمه . كاملاً في ارشاده . كاملاً في اخلاقه . كاملاً في تعبده . كاملاً في ملكاته ووجدانه . كاملاً في نفوذه وتأثيره . كاملاً في فعله . كاملاً في التنور العام . كاملاً فى تعمير قلبه بالنور الالهي والاقتراب من الملكوت . الى غير ذلك من ضروب الكمال * و بيان هذا كما ترى

الكمال في العلم

لانريد من ذلك بلوغ النهاية فى كل ما يطلق عليه اسم العلم فان هذا من المتعذر . فضلاً عن أن هناك من العلوم ما لايلزم للعالم التوسع فيه وان كان كمالا في ذاته . وانما نريد انه لابد من الكمال فى علوم الدين ومعرفة المقادير اللازمة من العلوم الاخري

التي يلزم ان يُلمّ بها العالم · وهذا من البديهي الذي لايحتاج الى الافاضة · وانما الكلام فى بيان علوم الدين وغيرها والقدر اللازم منها · و بيان اننا لم نصل قط الى هذا الكمال الاول · وسيأتي كل ذلك فى باب العلوم ان شاء الله

الكمال في التعليم

اذا كان التعليم شعار العالم الرسمي واخص صفاته فلا بد له من الكمال فيه · واذا كان هو اساس السعاده وواسطة التربية والترقي ونشر الدين فلا بد من الاعتناء به والسعي فى تسهيله · ولا يجوز الاقتصار فيه على ضرب غيره احسن منه

و بديهي انه لاتلازم بين العلم وحسن التعليم فكثيراً ما يكون الشخص من كبار العلماء ولكنه مشوش او عاجز البيان او قليل الخبرة باساليب الاقناع ليست عنده قوة التصرف ولا له دراية بطرق التفهيم التي تختلف باختلاف المتعلمين ولا شك ان نجاح الطالب او سقوطه وسعادته او شقائه يرجعان الى امر التعليم · فهناك من يرفع البليد بحسن تعليمه ويقدمه الى صفوف الازكياء

و ياخذ بايدي الطلاب الى اسمى مراتب العلم واقصى وجوه النظر من اقرب الطرق بدون تعب يذكر. وهناك من يحط من قدر الازكياء حتى يذهب ما كان ينتظر منهم و يضيع حسن استعدادهم و يكون كالعلة التي تلحق الحيوان او النبات في اول نشأته فتعوق نموه وتورثه الذبول

فمن الواجب اذا اتنافس في ايجاد الطرق التعليمية الصحيحه والعمل لبلوغ الكمال في حسن التعليم*هذا كلام مجمل وسيأتى في باب التعليم تفصيله ان شاء الله

الكمال في الارشاد

الارشاد هو اهم ما يتوقف عليه ترقي الامة وحسن نشأتها في سائر الشوءون المادية والادبية والدينية. وهو العامل الاكبر للنهوض من هذا السقوط والانتباه من هذه الغفلة

الارشاد هو الوسيلة القوية الوحيدة التي يمكن بها انتشال هؤلاء الشبان الذين كمنت فيهم القوة الدينية كمون النار في الحجر وغلبت على ظواهرهم مظاهر الشهوات فانتهكوا حرمات الله تعالى

واهملوا ما فرض الله عليهم

الارشاد هو الذي يخرب بيوت الفسق ويعمر بيوت الله بجماهير المسلمين · هو الذي يقفل حانات الخمور ومناخ البطالة والكسل ويفتح ابواب الاستقامة والاجتهاد والعمل · هو الذي يمكن ان يقينا شر هؤلاء الاشقياء الذين يهددون الناس في انفسهم واموالهم · وهو الذي يخفف الاعمال عن عاتق عمال البوليس والنيابة وقضاة المحاكم الاهلية والشرعية · هو الذي يبدل الصفات والمعالم ويكاد يقلب الحقائق هو الذي يرفع عن الامة غشاوة الجهل ويطلقها من قيود الاوهام هو الذي يمكنه ان يأخذ بايدي هؤلاء السفلة والمتشردين من الشبان الذين لاعمل لهم حتى يخرجهم عن هذه الاطوار الناقصة ويجعلهم في صفوف الرجال الكاملين النافعين

هو الذي يوفق بين مصالح الدنيا ومطالب الآخرة ويؤاخي بين قوانين الاسلام ومنافع المدنية الحاضرة وهو الذى يمكن ان يرقى الرجل الشرقي فى العمل والفكر حتى يضارع او يفوق الغربي

وبالجملة فان الارشاد متى اعطي حقه من العناية والاستكمال جعل القطر كله مدرسة كلية جامعة · وجعل الناس كلهم تلامذة

يتلقون من العلماء دروس التربية العالية في كل زمان ومكان ، ومع كل عمل وعلى كل حال . وامة يكون هكذا شأنها لابد ان تبلغ من الكمال ما لاتحيط بكنهه العقول

والذين ينبغي ان يقوموا بهذا الواجب المقدس والامر المهم ويكونوا مصدر هذه الموهبة العظمى ومفتاح هذه السعادة ومحققي هذا الكمال لاشك انهم العلماء . اولاً لانهم اعرف الناس بما يشير اليه القانون الاسلامي وبالغاية التي يدعو اليها الاسلام واقدر الناس على التأثير وابعدهم عن الاوهام (بحسب اصل الوضع) واعلمهم بفوائده الجمة ومنافعه الكثيرة وثمراته العظيمة

وثانياً لان الارشاد هو المحقق لفائدة العلم ونشره بالتعليم الذي يشتغلون به . فان مجرد معرفة احكام الدين لجمهور الناس لاتستلزم العمل وهي بدون العمل لاتفيد

ولكن من اعجب العجيب انهم اهملوا الآن هذا الواجب واعرضوا عنه فكان من نتايج ذلك ضعف الشعور الديني وانتهاك حرمات الشرع حتى فيما يرجع الى مصالح هذه الحياة الدنيا . بل كان من نتايج ذلك ضياع حرمة العلماء وانحياز امر الدين حتى كاد

بعد من الاحوال الشخصية والامور الاستحسانية التي تختلف باختلاف المشارب والاذواق

قدر الله تبارك وعلا ان ينفصل العلم عن العمل فاقتنع علماءنا بتحقيق بعض المعاني الخفية والمفهومات المشتبهة ووجد قوم غيرهم يتشبثون باذيال العمل ثم يتمسكون باهداب الارشاد (وهم اهل الطريق) حتي صارت كلمة مرشد وارشاد من القابهم الخاصة بهم عند الاطلاق

لا كن مما لايمكن التزامه انهم اعطوا هذه الصفة حقها وقاموا بواجبها فانه فضلاً عن قصرهم لها على مايتعلق ببعض اللذائذ الروحانيه دون غيره من سائر الكمالات والمطالب الواجبة فانهم اخرجوه فيه ايضاً عن الوضع الواجب بل اتخذه بعضهم شعاراً اسمياً فقط طلباً للشهرة والاحترام او الاسترزاق وتيسير امر المعاش

فواأسفا على هذه الوظيفة السامية والصفة العالية التي ضاعت بين رجال العلم ورجال الطريق . بل واأسفا على تركة الاسلام التي تفرقت ايدي سبا في ايدي من لم يعرفوا حقها ولم يقوموا بواجبها بل دنسوها وشوهوها حتى صارت فى ظاهر الامر من المعاني السافلة والامور الدنيئه . ومن لهذه التركه الثمينه بمن يعرف

قيمتها فيجمع شملها ويلم شعثها ويرجع اليها نضارتها الاولى ويكون كمن يلتقط نفائس الجواهر الملوثة بانواع الاقذار من وسط المزابل فينظفها ويميط عنها الاذى وينظمها عقداً يصبح به من كبار الاغنياء . تالله لايصلح العلم بدون الارشاد ولايفيد الارشادبدون العلم وهما لن ينفعا بدون العمل فما هذا التفريق والتمزيق فى الشيء الواحد

ولأن نقول للعلماء اعملوا وتنازلوا وخالطوا الناس وخاطبوهم على قدر عقولهم وارشدوهم علهم ان يهتدوا خير من ان نقول لغيرهم اشتغلوا بالعلم وجدوا فيه حتى تصيروا علماء ثم ارشدوا . فان العلماء ادرى بالواجب يعقلون ويعرفون قيمة ما يلقى اليهم من المقال وهم بهذا يكونون اقرب للكمال

فمن اجل هذا ارى ان امر الارشاد من اهم الامور التي ينبغي ان يتنافس فيها العلماء ويتحققوا بها على اكمل معانيها واتم وجوهها ولهذا الاجمال تفصيل ياتيك ان شاء الله في باب الارشاد

الكمال في الاخلاق

اذا كان الكمال فى الاخلاق واجباً على سائر الناس فكيف

لايكون موضع نظر العلماء واهتمامهم . وكيف لايكونون اول من يتحقق به . واذا كان من وظيفتهم الارشاد الى الكمال وتهذيب الاخلاق فكيف لايكونون القدوة الحسنة في هذا الباب . واذا كانوا هم الائمة الذين يقتدي بهم و ينبغي ان يسلك سبيلهم الذين يسلكونه ويكون حسناً ما يأتون وقبيحاً ما يتركون فكيف لايتكملون ولكن هل هم الآن كذلك . ومن اين يكونون كذلك . هل في طبيعتهم واصل تكوينهم ما يميزهم عن سائر الناس بالاقتراب من الفضائل والتكمل بالاخلاق الحسنة . كلا فالناس في ذلك سواء . هل قرنت بهم ملائكة تهديهم الى الصفات الحميدة . كلا وانما ذلك من خصائص الانبياء . هل من الامور التي تتلقى في المدارس الدينيه ومن العلوم التي درسوها فى إبان تعلمهم علم الاخلاق . كلا . اذاً فمن اين يكون تهذيب اخلاقهم . لاجرم انهم في ذلك كسائر الناس منهم من تسوقهم المقادير والصدف الى التمسك بشيء من الاخلاق الفاضلة ومنهم من يظل على حالته الاولى كأشجار (ام الغيلان) ولا شك ان الكمال في الاخلاق الان ساقط الاعتبار في تحقيق مفهوم العالمية وانه لاتلازم اليوم بين التخلق بالاخلاق

الحسنة و بين ان يكون الرجل من العلماء واهل الشهرة الفائقة في العلم واصحاب المناصب العالية · بل هذ الآن شيءٌ وذلك شيءٌ آخر · وقد يكثر في احاد الناس من هو ارقي فى الاخلاق من بعض العلماء وقد يوجد في العلماء من هو احط في الاخلاق من احاد الناس

ضرر النقص في الاخلاق ضرر شديد يضيع الفائده المنتظره من العلماء فانه اولاً يسري بالعدوي الى الالوف المألفة من الطلاب ومنهم الي غيرهم وثانياً يكون سبباً فى اتصاف كثير من الجمهور بالاخلاق الدنيئة اتكالاً علي ان هناك من العلماء من هو متصف بها او باكثر منها و ثالثاً يكون سبباً فى خوض الناس فى حق العلماء واحتقارهم لهم بل و بغضهم وعدم الانصات لمقالهم وان كان حقاً بل ولا لمقال اهل الاخلاق الحميدة ورابعاً يكون سبباً في مثل ما نرى اليوم من انقسام العلماء على انفسهم و بغضهم لبعض وغيبة بعضهم للبعض الآخر وقيامهم فى وجه كل اصلاح وجمودهم على حال واحدة وان كان غيرها احسن منها · الي غير ذلك مما لا يحصى

وعلي الحقيقة ان العالم احوج الناس الي الكمال فى الاخلاق بل لايستحق الانسان هذا اللقب الا ان كملت اخلاقه. فان العالم ليس له قوة قاهرة من جيوش واساطيل ينفذ بها رغائبه ويبلغ بها مقاصده وينشر بها مبادئه وتعاليمه قهراً. وانما هو الخلق الحسن والعقل المفكر واللسان المبين يجمع بها القلوب حوله ويسلك بها السنن الاقوم. ويقيم من هياكل الاصلاح ما شاء الله تعالي. والعالم الذي لاتكمل اخلاقه ضرره اكثر من نفعه يسيء من حيث يريد ان يحسن ويخذل الدين من حيث يريد ان ينصره ويكون عقبة كبرى في سبيل كل حركة خير او فكرة تقدم بل مهما كان علمه فسيجد من سوء خلقه سداً يحول دون الانتفاع به

وليس هناك اقبح واضر من اعطاء العالمية لاقوام من هذا القبيل يتحصنون بها ويتقوون على نشر مبادئهم الخبيثة وصفاتهم الناقصة ويكونون كالصخرة في فم النهر. وحقاً ان شر الشر اعطاء المهم لمن لايستحقه ومن يتخذه عوناً في بث مبدأه ومشربه الدنيء بين الناس

على اني لااريد ان افيض في هذا الموضوع وتالله اني ليسيئني الالماع اليه وما كنت فاعلاً لولا ان الاغضاء عنه وهو مشهور معلوم يعد نقصاً آخر

وعلى هذا فانى ارى اولاً انه لابد من دراسة علم الاخلاق والاعتناء بامر التربية وثانياً انه لابد ان يكون من موضوع التفاضل بين العلماء الكمال في الاخلاق ليكملوا فى انفسهم وليمكنهم ان يصلحوا من اخلاق الناس وخصوصاً الطلاب الذين اشتهر عدم حسن اخلاقهم عند الخاص والعام

واقترح هنا تأليف المجتمعات الخصوصية من جماعة الاصدقاء لكي يكون كل مرآة لاخيه ينصح بعضهم بعضاً ويرشد كل اخاه الى ما فيه من خير او شر بحيث لايخفى كل على اخيه شيئاً مما يراه. فمن تبادل النقد في ساحة المودة على بساط الصفا يكون الكمال والله ولي الارشاد

الكمال في العبادة

لاحاجة الي لافاضة في بيان ان العلماء لابد ان يصلوا درجة الكمال في التعبد. فذلك امر ظاهر يدعو اليه حالهم الرسمي وشعارهم

العام وكونهم القدوة للناس واعلمهم بما يترتب على فعل ذلك او تركه من خير او شر واحقهم بالقرب من حضرة الحق والعمل بسائر ما يعلمون حتي ان السنن في حقهم على اختلافها قد تكون كالواجب حملاً على العمل وبياناً لاحكام الدين بالفعل الذى هو ادعى للامتثال

ولكن الذي يحتاج الى البيان هو ان ذلك غير منظور اليه الآن الا بالنظر التبعي. فالعالم اليوم هو سريع الفهم كثير الشغب قوي التصور الملم بالمعلومات المتنوعة بقطع النظر عن ان يعمل او لايعمل ولقد قوي هذا المعني حتي وجد شعور يقضي بان الصلاح والتعبد قد ينافي العالمية ويعد من علامات الجهل والبساطة وهذا هو الشعور الذي اخذ ينمو في بعض الفرق الحديثة من العلماء الذين لايريدون من العالمية غير ان يكون لهم حيثية رسمية او ان يجوز لهم التوظف في القضاء . وهناك اقوام لم يزجو بانفسهم في بحار هذا التمدن الوهمي والتفلسف الكاذب فلم يضعف احترامهم للتعبد كسابقيهم ولكنهم مع ذلك لايعملون عليه ولا يجتهدون في التحقق به مع احترامهم له ولاهله واولئك هم من تغلب عليهم

الطباع الاولية والشهوات الحيوانية فيحصر العلم فى ادمغتهم من غير ان يظهر اثره فى اعمالهم. وهناك قوم يقتصرون من التعبد على نحو التسبيح وملازمة السنن الموكدة من الصلاة وزيارة قبور الاولياء مع ترك كثير من مظاهر التعبد كالوعظ والارشاد بل مع التلبس بما ينافيه كالغيبة والكذب والنفاق. وهناك فريق آخر يرى ان كثيراً من ضروب التعبد التي عليها القسم الذي قبله غير صحيحة او فيها غلو واغلبها يرجع الى الوهم. ولهذا فهو يهملها او يتراخى فيها. ويظهر من هذا وذاك ان هناك اهمالاً في التعبد وغموضاً وخلافاً فيما يحققه

فاما اهمال التعبد فلا يليق بعامة المسلمين فضلاً عن علمائهم اذ لو تصور من ينبغي ان تلي مرتبتهم فيه مرتبة الانبياء لكانوا هم العلماء (ولا شك فهم ورثتهم)

ها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه من عظيم المرتبة التي لاينالها سابق ولا لاحق كان شديد التعبد كثير التهجد يصوم النهار ويقوم الليل حتى تتورم قدماه قائماً بالمصالح العامة والخاصة للمسلمين يعظ ويرشد ويبلغ رسالات ربه

ويدعو الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجاهد فى الله حق جهاده فما لعلمائنا لايكون لهم به قدوة · ها هم اصحابه والخلفاء الراشدون منهم كانوا على سننه القويم وصراطه المستقيم فما لنا لانقتدي بهم ونقتفي اثارهم · ها هم ساداتنا الاولون كانوا من كبار العاملين فلمَ لانكون مثلهم

مالنا نكاد نظن ان منهيات الدين لاتتجاوز الزنا وشرب الخمر وترك الصلاه دون ما عداها مما هو مثلها في الاثم · ما لنا نكثر من التحيل والتأويل في احكام الدين وماذا تركنا لغيرنا وما هي خصوصيتنا حينئذ

العلم ثمرته العمل فما هي فائدة حشوا ادمغتنا بفروع الفقه اذا لم نكن من العاملين بها فضلاً عن ان نكون فى مقدمتهم العلم عند المحققين هو المصوب بالعمل حتى ان بعضهم اعتبر العمل فى مسمى الفقه فلم لانعمل حتي نتحقق بمفهوم العلم على التحقيق

لو تاملنا حال السلف الصالح رأينا انهم كانوا لايتوسعون في مسائل العلم الدينى اكثر من اللازم ولكنهم يكثرون من العمل بما يعلمون فما لنا الآن نكثر من التفلسف والتحيل والتفريع

ثم نقلل من العمل حتى نكاد نعدمه وما لنا نجعل الوسائل مقاصداً

العلم الاسلامي الذي كانت تنفعل عنه نفوس سلفنا الصالح لايستمد من العقل فقط . بل منه ومن الوجدان الروحاني العالي الذي لايتم الا بكثرة العبادة والاقبال على الحق والاقتراب المعنوي من ملكوت الله . ذلك هو العلم حقاً وبه تتجلى المعانى للنفس على نحو لايحصل من مجرد التصور والفكر ذلك هو العرفان الالهي المطلوب حصوله في قلب كل مسلم والعلم الرباني الذي ان كمل كان هو الوحي ولا يكون الا للانبياء فمالنا نبتعد عنه ولا نأخذ في الطريق الموصل اليه وما لنا نقصر في الغايتين العلمية والعملية ولا نكون اول من يتحقق بما ندعو اليه

واما مايحقق التعبد فارى انه فى العالم غيره فى غيره لان هناك من الواجبات الدينيه ما هو موجه الى العلماء دون غيرهم. فهذا الذل والخشوع والزهد فى الدنيا وكثرة الذكر وزيارة الاولياء والغلو في الاعتقاد لايحقق وحده معنى التعبد في العلماء . ومن يكون هذا فقط حاله فمهما كان علمه لاينبغي ان يسمي عالماً بل زاهداً مثلا واولى الاشياء به ان يذهب الى شعاب الجبال ليعبد

الله بعيداً عن الناس حتى يأتيه اليقين لا ان يكون من العلماء عمال الرسالة المحمديه ونواب الحضرة الاحمدية في هذه الامة لان العالم لابد ان يضم الى هذه الصفات المتقدمة الجرآة وقوة الفكر ومعرفة الاحوال الحاضرة وسائر ما يرتبط بشؤون وظيفته العلمية الارشاديه مع القيام بها اتم قيام. وهؤلاء الذين نسميهم صالحين ونعدهم من كبار العلماء ونجلهم ونحترمهم هم على الحقيقة مقصرون في واجبات العالمية وهذا الحال الذي يعجبنا منهم ليس كمالا لهم وان كان كمالا لغيرهم. وحقاً ان العالم الذي يشغل وقته بالصلاة والذكر والتسبيح وزيارة الاولياء ويترك الناس في غوايتهم ولا يلتفت لاعزاز الدين بالطرق الصحيحة المعقولة ثم اذا قيل له في ذلك اجاب بان هذا آخر زمان او بانه ماذا يصنع لايستحق المدح والثناء على حاله ولا يسلم اليه مقاله. وكذلك السعي وراء المصالح العمومية والنظر فى ما يرقى الامة والانصاف بكثير من الصفات اللازمة للعلماء مع عدم العناية بانواع التعبد الاولى قصور بالغ حد النهاية لايعد صاحبه من اهل الكمال في شيء. وانما الكمال هو التحقق بكلا الامرين وعدم اغفال احدهما. فالعالم لابد ان يكون نهاراً

في وعظه وارشاده ونظره فيما يعود بالمنفعة على المسلمين واستعماله عقله وجسمه في هذا السبيل كالملك الذي يشتغل بمصالح رعيته ويدبر شؤونهم . واذا جن عليه الليل كان في تقديسه وتسبيحه واقترابه من ملكوت الله كالملائكة (كن ملكاً بالليل وملكاً بالنهار)

ولا شك ان كلا الامرين اهمال التعبد واختلاف المشارب فيما يحققه ناشئان من نقص بل عدم التربية الدينية في المدارس الكبرى التي يتخرج منها العلماء فالطالب متي قدم هذه المدارس فوجئ بدروس فروع الفقه الدقيقة ومعرفه احكام المتحيرة واحكام سهو الامام وسهو المأمون ونحو ذلك وظل على هذه الحال الى النهاية من غير ان يتلقى درساً واحداً في الحث على العمل بهذا العلم بالطرق المؤثرة ثم يخرج عالماً بدون ان يعرف من هو العالم وما هي واجبات العلماء . وغير خاف ان مجرد معرفة احكام الفقه لاتحمل على التعبد والعمل بها فلا جرم هم في ذلك على حسب الاستعدادات الاولى المختلفة وحكمهم فى هذا كحكم ساير الناس

ومن هنا ارى وجوب الاعتناء بتقوية الداعية الدينية في نفوس

الطلاب اولاً والاعتناء بالوعظ والارشاد فيما بينهم وبيان الغايه التى ينبغي ان يصلوا اليها والمبادي التي يجب ان يكونوا عليها وان لايرقي منصب العـاليه الا اهل الكمال فى التعبد والله الموفق الى ما فيه الخير والصلاح

الكمال في الملكات والوجدان

من اصدق المقال قولهم (المرء محكوم بوجدانه) اذ هناك عند التدقيق شعور خاص وتجلى للاشياء في نفس الانسان علي اوجه شتى وادراك دقيق للامور على انحاء مختلفة يتبع ذلك الميل لشيء دون شيء واستحسان لبعض الامور دون البعض وبهذا كانت تلك الاحوال هى المسيرة للانسان والمرتبة عليها سائر اعماله والموجودة اثارها في قوله وفعله بل ومسكنه ونظامه وشكله وسائر ما يرتبط به ويكون له اثر فيه

الى هذه الاحوال النفسية والملكات الخفية والوجدانات المسخرة يرجع علو الانسان وانحطاطه وكماله ونقصه فهي اذاً مرجع التفاضل ومبنى الكمال وعلى مقدار حالها يكون حال الانسان الحقيق

وهناك من الناس من يتكلف ان يظهر بمظهر موافق ويجري على سنن العقلاء في عاداتهم وتكون ملكاته ووجداناته على عكس ذلك مثل هذا مهما تمكن من اخفاء حقايقه فلا بد من ظهور آثارها ومهما تمكن من الجري على خلاف ما يجد من نفسه فلا بد ان يغلبه وجدانه في بعض الاوقات

الملكات العاليه والوجدانات الطاهرة من شأنها ان تأخذ بايدي صاحبها الى موجبات الفضيله الحقيقية وتهديه الى الكمال وترشده الى الحقائق في سائر الشؤون والاحوال فمن فقدها فهو وان حسن حاله الظاهر فقد تبدو منه آونة نقائص لاتغفر ومعايب لايزول عارها مدى الزمان وقد يكون الفرق بينه وبين صاحب الوجدان العالي والملكات الكاملة كالفرق بين الببغاء الذي يتعلم جملامن الكلام وبين الانسان الفصيح فالببغاء قد يتقن الجملة التي يتعلمها حتى يخيل للجاهل انه ناطق كالانسان لافرق وانه قادر على كل كلام ولكن العالم يرى ذلك بتعليم في شيء خاص وانه بذلك لايخرج عن حيوانيته المطلقه

ولا ينكر علينا احد ان هذا المعني الذي اعجز عن بيانه

فى هذه الجمل القصيره ينبغي ان يكون على اكمل وجوهه فى العلماء كما لاينكر احد ان اصل العلم والتقدم فيه لايستلزمه. واننا نرى باعيننا من العلماء المشهورين الذين احرزوا التقدم وشغلوا الوظائف العالية وعدوا من الرؤساء من ينقصهم هذا المعني وان ملكاتهم ووجداناتهم النفسيه دنيئة ناقصة تباين مراكزهم الرسمية وتضاد منزلتهم بين الناس وانهم لاتزال لهم من الصفات الناقصة ما يحطهم عن اكثر الناس وان كان ذلك لايتراءى الا لمن يعاشرهم ويعاملهم ويخترق حجاب المظاهر الكاذبة وقد ينبني على ذلك صدور اعمال منهم تعد من الاعمال التي تورث النقص المام وتوجب العار الفاضح للامة والدين والشواهد على ذلك كثيرة

ومن هذا كان الواجب التنبه لامر الملكات والوجدان والسعي في ايجادها علي اكمل وجه في العلماء وكذا الطلاب. علي ان ايجادها ليس بالامر السهل وتربيتها في النفوس لايعرف صعوبتها ولا طرق الوصول اليها الا علماء التربية . ولكن ما لايدرك كله لايترك كله ومن جد وجد ومن لجّ فتح الباب وكل شيء سهل

مع المجاهدة وعلو الهمة والله ولي التيسير

الكمال في النفوذ والتاثير

النفوذ والتأثير لازمان للعالم من حيث هو مصلح مرشد فان مجرد معرفة الحق والخير لاتكفي في حمل الناس على العمل به وكثيرا ما ينادي بالحق من لايكون له شيء من النفوذ فيذهب نداءه كصرخة في واد وطالما جاهر بالباطل واحد من ارباب النفوذ والتاثير فتابعه الناس عليه

اصبح علمائنا اليوم فاقدين كل شيء من معني النفوذ والتاثير عارين عن سائر موادهما ولا شك ان هذا نقص شديد يجب تداركه . لااقول فقدوا النفوذ والتاثير فقط بل واكتسبوا صبغة الاستثقال والاحتقار من اكثر الطبقات العليا حتى كاد يكون الحق منهم باطلا والصدق منهم كذباً والنصح منهم غشاً فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

لو نظرنا بعين الاستبصار الى سائر المرشدين الى الحقائق وهداة العالم واولهم نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رأيناهم

اولاً كانوا موضع الازدراء والتحقير من الناس وان من يتبعهم كان اقل القليل فاذا ما اكتسبوا قوة النفوذ والتاثير انعكس الامر واقبل الناس عليهم ودخلوا فى دين الله افواجاً ورأوهم بعين غير الاولى كأنهم ليس هم اولئك الاولون ذلك لان الناس دائماً اسراء العادة عباد المظاهر ايمانهم في عيونهم كما قال بعض العارفين فهم دائماً لايستمعون الا لمقال من يكتسب صفات الاحترام العام ولا يرضخون الا لمن يحرز قوة النفوذ واذا كان الامر هكذا فلم لانكتسب هذه القوة لنتمكن من نشر الحقائق الاسلامية ونتوصل الى اعلاء كلمة الله ثم لِمَ لانكتسبها وهي التي ترفع الانسان من الطبقات السافلة الى اعلى المراتب وتجعله سلطان القلوب وقائد الافكار

ها هو فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده واحد منا انظر لماذا علا دون امثاله ولم وصل الى ان صار صاحب الرأي الاعلى في سائر الشؤون الازهرية وصاحب الاحترام والمكانة والكلمة المسموعة عند اكثر اهل الطبقة العاليه حتي امكنه ان يسود اكثر الذين يبغضونه من العلماء وقد كان في اول قدومه للازهر عند الناس كاحاد الطلاب . اشيء جاء بالصدفه ام هذا نتيجة

العمل والاجتهاد . لا جرم ان هذا كان اولاً نتيجة النفوذ المكتسب من قوة العقل وحسن البيان واتقان العمل وذلك جعل له مكانة عند الطبقة العليا وتلك المكانة اكسبته نفوذاً آخر وجعلت تأثيره اقوى وقد تمكن بهذا وذاك ان يرأس العلماء وتكون له كلمه التصرف حتى على شيوخه ومن يبغضونه وان ينشر مبادئه ويدعو الناس اليها ويلبي دعوته كثير من الناس وهو لو دعا اليها في بدء نشأته ما اجتمع اليه اكثر المجتمعين حوله الآن

تأمل ما وظيفته الآن في الازهر . فاما الافتاء فهو من وظائف الحكومة لاتعلق له بالازهر وانما وظيفته انه عالم من العلماء ثم هو عضو من اعضاء مجلس الادارة لا فرق بينه وبين باقي الاعضاء بل هو وفضيلة الشيخ سليمان العبد والشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ احمد الحنبلي متساوون . اذاً فما هذه الغلبة الهائلة والصولة العظمى والتأثير الكبير حتى يكاد الناس يحترمونه اكثر من شيخ الازهر نفسه وهم يعتقدون انه الآمر الناهي وان كل شيء صادر عنه ومنسوب اليه . لاشك ان هـذا كله بقوة نفوذه وتأثيره . وهكذا تكون الرجال

فلأن كان هذا الاستاذ محقاً فلمَ لانكتسب نفوذاً كنفوذه ونكون انصاراً للحق

ولان كان مبطلاً وقد تمكن بنفوذه ان ينصر الباطل ويصل الى هذه الدرجه من القوة والتأثير فلمَ لا نحرز مثل هذا النفوذ بل ما هو اقوى منه لنتمكن من نصرة الحق وخذلان الباطل ولِمَ نجبن ونضيع بجبننا الحق معنا . لاشك ان هذا هو الموت الادبي والشقاء الابدي والصغار السرمدي وما يعقله الا الظالمون

بقي علينا ان نعرف ما هي الوسائل التي تفيدنا قوة النفوذ والتاثير وهي على الحقيقة ليست محصورة في شيء خاص ولا مقصورة على ضرب معين ولكن كلها ترجع الى قوة العقل وفصاحة البيان والاتجاه نحو العلو والاتصاف بكل شيء شريف من شأنه ان يرفع الانسان في الناس مع كثرة المخالطة والابتعاد عن النقائص

فالواجب اذاً على العلماء التمسك بهذا المعنى والسعي وراءه الاتصاف به والله خير موفق ومعين

الكمال في الفعل

من الواجب ان يكون صدور سائر الافعال والاقوال والحركات

والسكنات من العاقل على وضع حكيم وترتيب حسن ونظام تام اذ قد لايوجد اثر يدل على كمال العقل وقوة الاقتدار اكثر من فعل الانسان ونظامه . وهناك من الناس من قد يتصور الحسن والقبيح و يكون شديد الادراك ثم لايكون لذلك اثر في فعله فهذا لاينبغي ان يعد في صفوف اهل الكمال فان المجنون قد يدرك تماماً كما يدرك العاقل ولكن ادراكه لاتنفعل عنه حواسه ولا تظهر له ثمرة ما في فعله فما اشبه من لايحسن اعماله و يتقنها ومن لايضع الشيء موضعه بالمجنون مهما كان ادراكه ومهما كانت قوة فكره . وماذا تفيد سعة الاطلاع وقوة الذاكرة وكمال الادراك اذا كان صاحبها همجياً لايحسن شيئاً من عمله ولا يتقنه بل سائر اعماله خلل وتشويش وجميع حركاته مثال الرعونة والطيش . وامثلة هذا كثيرة فكم مرة تقع اعيننا على اناس لو تجمعنا بهم جامعة في مجلس فيظهر منهم شيء من عدم لاتقان في اقوالهم او اعمالهم او حركاتهم فيكونون بهذا موضع الازدراء والتحقير من سائر الناس واذا كان هذا الحكم حكماً عاماً فهو بالعالم الحق واختصاصه به اشد فالعالم ما لم تظهر عليه الرزانة وتكون جميع اقواله وافعاله وحركاته

وسكناته واقعة موقعها لا يعول عليه مهما كان كبيراً في العلم

العالم لابد ان يكون مع سائر الدوائر المرتبطة به على جانب عظيم من الاحكام والنظام وان كان هذا غير المشاهد الا ن

العالم لابد ان يوجد في كل شيء يلتصق به حتي زيه ولباسه ما يشير الى حكمته وحسن تدبيره فلا ترى في عمامته مثلاً ولا سائر ملابسه ما يشير الى فساد في النظام او ما يستلفت اليه الانظار على وجه ينافي الاحترام . العالم لابد ان ترى في مشيه وسكونه واشارته بالتحية وفي منظره اذ تبسم وفي منطقه اذ تكلم ما يشير الى جلاله ووقاره وكمال عقله وحسن خلقه واكثر ما ينبغي ان يكون ذلك في المحافل الرسمية ومجامع الناس

ولكن مما يوجب الاسف انهم يخالفون ذلك الآن مخالفة كلية فمثلاً في حفلات التشريفات تجد منهم من يأتي قبل الميعاد المحدد بزمن كثير ومنهم من يتاخر عنه وهذا مما يخفض من احترامهم في اعين الناس وخصوصاً عمال المعية ثم تجد منهم من لا يحافظ على قصب كسوته فيتغير لونه تغيراً مشيناً ويصير بهيئة مزدراة ولا شك ان هذا من دواعي الانتقاد ثم تجد هم ايضاً في هذه الاجتماعات

غير مرتبين وغير بادية عليهم سيماء الوقار بل هذا يذهب هكذا وهذا يأتي هكذا والصغار منهم يتقدمون الكبار الى غير ذلك من دواعي التشويش وعدم النظام وكثر ما يزاحم صغار الشبان كبار الشيوخ حتى لايجد بعض اكابر اهل الدرجة الاولى كرسياً ولا شك ان هذا من اسواء الاحوال التى لاتليق بفئة من الناس ويعلم الله ان صغار تلامذة المدارس يفوقون عنهم فى مقتضيات الحكمه ودواعي النظام الاجتماعي في امثال هذه الحفلات

وفي تشييع الجنائز قلما تحدهم على حال لايوجب الانتقاد من العامة والخاصة ولعل اكبر جنازة رأيتها مدة عمري جنازة المرحوم اسماعيل باشا وهم فيها كانوا على حال سيء غير مرضى فبينما كنت ترى سائر الفرق سائرين مع تمام الانتظام والسكون والوقار تعلوهم الهيبة ويحفهم الجلال (ومن تلك الفرق فرق الروساء الروحانيين) كنت ترى العلماء سائرين على شكل مشوش ليس فيه شيء من مقتضيات النظام ولا مما يوجب الهيبة والاحترام يكلم بعضهم بعضاً بكيفية اوجبت انتقاد سائر الناس

وفي المجامع الحافلة تراهم ايضاً على هيئة غير مستحسنة وغير

موجبة للتبجيل فاذا كانوا في مأتم كانوا اول المتكلمين المعرضين عن سماع القرآن واذا ماتحدثوا تحدثوا على شكل غير منتظم وربما قطع بعضهم الحديث على غيره وربما بادره بشيء من الانتقاد غير صحيح او صحيح غير مناسب ذكره واذا ما حكي بعضهم شيئاً بادره الباقي به اظهارا لانهم يعرفونه . اما سمعوا قول القائل

وتراه يصغي للحديث بسمعه * وبقلبه ولعله ادرى به

فاذا ما جرّ سياق المقال الى بعض المسائل العلمية تسابق الكل للكلام واختلفوا في الاراء وربما تكلم اكثر من خمسة في نفس واحد وكل هذا من عدم الحكمة وقلة التدبير

مجالس العلماء لابد ان تكون مجالس سكون ووقار وتكون هي الاصل الذي تقتبس منه آداب المجالس كما ان العالم في جميع اطواره يجب ان يكون قدوة الكمال لساير الناس

العالم لابد ان تكون اوقاته مرتبة واعماله مقسمة عليها تقسيماً مناسباً حسناً فلا يمضي وقتاً بدون فائدة وفي غير عمل مفيد

العالم لاينبغي ان تفوته فرصة من الفرص المؤدية الى خير ديني او مادي او ادبي من غير ان يغتنمها . العالم لاينبغي ان يفعل

فعلاً ما الا وهو جار على سنن الحكمة ومنهج السداد سواء كان من الافعال المتعلقة بالاحوال الشخصية او الاجتماعية الادبيه او المادية او المتعلقة بشوءون وظيفته وما يوجبه عليه منصب العالمية

العالم لابد ان يكون فى بيته منتظماً انتظاماً تؤخذ منه نظامات البيوت بل والممالك

العالم لابد ان يكون حسن التدبير في اموره المالية وجميع شوءونه الخ الخ الخ

ولا شك ان النقص في هذا كله انما يأتي من نقص التربية فعلى علماءنا ان يهتموا ويصلحوا امثال هذه الشوءون المهمة فى انفسهم ثم يعتنوا بتربية الطلاب وما يتذكر الا أولو الالباب والله هو الهادي الى الصراط المستقيم

الكمال في التنور العام

التنور العام من صفات الكمال اللازمة لسائر افراد الانسان العلماء وغيرهم ولكن حاجة العالم اليه اشد لان وظيفته كلها مبنية على الفكر ولانه لايحوز الاحترام ولا يتمكن من تادية وظيفته كما ينبغي الا اذا كان عنده هذا التنور

لكن هناك من العلماء من ترى تنورهم قاصراً على مناقشات الفنون والكتب التي يدرسونها حتى لايمكنه ان يخوض مع انسان في حديث ما فيتقنه وان جلس في مجلس عام لم يحسن التكلم فيه بل اما سكوت واما كلام تمجه الاسماع ويأباه الطبع السليم · وقد كان الواجب ان يكون مصدر سائر المستحسنات حتى يقبل الكل عليه ويكون مركزاً تدور عليه سائر احوال المجلس الذي حواه ليكون موضوع احترام الكل واجلالهم فيمكن التأثر عن قوله والاخذ به

هذه الصفة صفة الاقتصار على مناقشات الفنون لاينبغي ان تكون إلا لمثل البيغاء الذي يتقن جملاً من الكلام دون غيرها ومن الغريب ان يظن بعضهم ان اكثر المعلومات التي تكوّن هذا التنور مما لاينبغي الالتفات اليه · وهذا خطأ فاحش اذ العالم لابد ان يعرف سائر اصطلاحات الناس وعوائدهم في الكلام وغيره والاشياء المتداولة بينهم والتي تنال عندهم القبول ليدخل من بابها و يستعملها في استمالتهم نحوه وسماعهم لاقواله وهذا الخطأ كغيره جاء من انهم لم يفرقوا بين العالم ومن سميناه في ما سبق زاهداً فظنوا ان كمال العالم في البعد عن الناس وعن سائر احوالهم وهذا خلط قد ادى

الي ضرر جسيم

فالواجب اذ السعي لتحصيل هذا المعنى كغيره مما تقدم لانه للعالم كالسيف للمجاهد والله خير موفق ومعين

مطالعة الجرائد

مطالعة الجرائد من اعظم ما يفيد هذا التنور و يوقف العالم على المعلومات المتداولة التي يعد جهلها عيباً عند الناس فضلاً عن انها توقف المطالع على حال اخوانه المسلمين في سائر بقاع الارض وعلى تقلبات الاحوال وكل ما له إرتباط بشوءون وظائف العالم فهي اذاً اعظم عضد له في القيام بشوءون وظيفته وله منها منفعة اخرى لاتقدر وهي انها تكون خير واسطة في ابلاغ مقاله لسائر الناس في ساير اطراف الارض بسهولة · وهذا حال لاينال الآن من تاليف الكتب فان قراءة الناس للكتب وتامل ما فيها قليل بخلاف الجرائد

هناك من العلماء من يرى ان كلام الجرائد كذب لاتجوز قراءته وهو رأي واضح الفساد فان عدم قراءة الجرائد تجعل الانسان في انحياز تام عن العالم وبعيداً عنهم كانه لبس على ظهر البسيطة

وتجعله ايضاً مستثقلاً محتقراً في اعين المتنورين كما يحتقر الجاهل بابسط الاشياء حتى انهم ليعدون مخاطبتهم له تنزلا ومجاراتهم واحترامهم له تفضلا لانه في اعينهم رجل بسيط لايعرف الا احكام الدين ولا يدري ما عليه الناس

على انا لانريد من الجرائد تلك الوريقات الساقطة التي تتجارى على الكذب بل الجرائد المشهورة المفيدة كالمؤيد. ولو صح نظر هؤلاء الناس ما جاز للاولين ان يشتغلوا بعلم الحديث لان من الحديث ما هو موضوع

على ان وراء الاخبار في الجرائد مقالات وابحاث مفيدة يهم العلماء والطلاب معرفتها والاستفادة منها. ومن هذا لايحسن عندي ايضاً حال بعض العلماء ممن شغلتهم الدنيا حيث يقتصرون من الجرائد على قسم الحوادث المحلية ليعلموا منها تنقلات عمال الحكومة مثلاً وان الباشا فلان جاء والبك فلان ذهب اذ هذا شيء لاينبغي ان يكون نظر العلماء فيه الاتبعياً

المجلات العلمية

ومن اهم ما يجب الاطلاع عليه ايضاً المجلات العلمية كالمقتطف

والهلال والمنار فانها تطلع الانسان على معلومات لايستغنى عنها العالم وحبذا لو امتلأت صفحات المجلات الدينية بمقالاتهم الضافية وارشاداتهم المفيدة

الكمال في تعمير القلب بالنور الالهي والقرب من حضرة الحق

نريد من هذا حصول الغاية التي يدعو اليها التصوف المعتدل التي تكون بصفاء الروح والتفاتها الى ما وراء الحس وميلها الى اللذائذ الروحانيه وحصول ذوق لها عالٍ ووجدان صاف يوصلها بالملاء الاعلى ويقربها من مبدأ الوجود جلَّ وعلا حتى تشرق عليها انواره وتفيض عليها اسراره

هذا الضرب من الكمال هو اعلى انواع الكمال وارقاها بل هو غاية الغايات ومنتهى السعادات وهو الذي يمكن ان ينال به مقام وراثة النبوة على التحقيق . فلا جرم كان من اول الواجبات على العالِم التحقق به والوصول اليه . منزلة هذا النوع بين ما يدعو اليه الدين الاسلامي من سايرالكمالات والمصالح منزلة اللب والثمرة

بين الغلافات والقشور و باقي اجزاء الشجره . وكيف لا وهو يتعلق بنوال اعلى المراتب العرفانيه واعظم المقامات الروحانيه. الا ان هذا الكمال المطلوب دقيق في ذاته خفي في تصوره صعب في اثباته نادر في حصوله له مشابهات كثيرة من احوال النفس وتولعاتها وتخيلاتها وهو مع ذلك لايكون الا بقدر معلوم ونمط معين . فكثير من الاحوال والاقوال التي تصدر عن من ينسبون الى التصوف ليست من هذا الكمال في شيء وانما هي انفعالات وتولعات وخيال. وهناك ايضاً من الناس من يغلو في الاقبال على العالم الروحاني حتي يتجاوز الحد المطلوب وقد يصل الى ما يسمى بالشطح او الفناء من الاحوال التي تخرج الانسان عن انسانيته

ما اشبه الانسان في تكوينه وكماله في تركيبه بالمؤلفات العنصرية والمركبات الكيماويه . روح عال دائم من الملأ الاعلى . وجثة دنيئة قابلة للفساد. تتنزل هذه الى تلك وتتصل بها بقدر معلوم وعلى وضع معين فيمتزجان و يتحدان و يكون منهما انسان تام

لاجرم ان كمال هذا الانسان يكون مركباً من مجموع الكمالات الروحانيه المتعددة المتعلقه بروحه والكمالات الكثيرة الجسمانيه

المرتبطة بجسمه . ولكن عن نسبة خاصه فيما يتعلق بالروحانيه مع الجسمانيه اولا . وفيما يتعلق بافراد كل مع بعضها ثانياً . فان اختلفت النسبه او اختلف التوازن لم يكن كمالاً في الانسان وان كان في ذاته قد يكون كمالاً في شيء آخر . فكمال الانسان اذاً في تركيبه كالدواء المركب من اجزاء معلومة بمقادير معينه او كالعناصر الاولى البسيطه التي تتركب على وضع ونسبة معينة فتكون شيئاً واحداً هو الماء مثلاً فان اختلف التركيب انقلبت الحقيقه وكانت مثلاً قطناً وهكذا

ولان تعددت الاجزاءالتي يتركب منها كمال الانسان فان هذا النوع الذي نحن بصدده هو اشرفها واعلاها كما انه ادقها واخفاها حتى يكاد ينكر وجوده من لايجده وليس هو يلزم لاحد ما لزومه للعالم الذي يستعد بحسب اصل الوضع لنوال اقصى المراتب الكسبية من الكمال الانسانى

هناك من الناس من يتحصل على هذا النوع من الكمال مع القصور في غيره من بقيه الكمالات الروحانيه العلميه وغيرها بل الجسمانيه ايضاً كما ان هناك من يتحصل علي الكمال العلمي كله

او بعضه دون هذا الكمال الروحاني حتي لانكاد الآن تجد اجزاء الكمال مجموعه الا في اندر النادر

ولكن هي وان تشتتت فقسط صاحب الوجدان والنور الالهي منها قسط اوفر وهو الى السعادة الحقيقية اقرب ما دام متحصلا من الكمالات الاخري على الضروري اللازم وهو افضل ممن ينال النهاية العظمى في الكمال العلمي ولا يتحصل على شيء من هذا المعني الجليل

ومن هذا يتبين ان الاعتناء بنوال هذه المرتبة السامية من اعظم ما يتنافس فيه المتنافسون ويتسابق اليه المتسابقون والله هو الكريم الفتاح ولهذا الاجمال تفصيل كبير يأتيك شيء منه فى الكلام على التصوف ان شاء الله

حال العلماء اليوم

ماذا اقول في هذا الباب وماذا ينبغي ان اقول فيه والمقام حرج والحاجة الى الابانة شديدة · أأخشى سطوة الرؤساء وقيامة العلماء فاكتب من صحائف الاطراء ما تمزقه يد الشهود · ام تاخذني العزة بالاثم فلا ارضى ان انسب لنفسي ولا لابناء جنسي ما

حظنا وحقرنا في هذا الوجود . ام اسكت واغالط شعوري واقول اني واحد من كثير . او اعلل نفسي بالقضاء والتقدير

ربي انت اعلم بحيرتي ودهشتي فانشلني من احوال هذا الترديد . والهمني القول الرشيد . ووفقني لما فيه الخير لي ولاهل ملتي يارب العالمين

تالله ان من اهم ما يستلفت الانظار حال علمائنا اليوم وفائدة الامةمنهم . فهم بحسب اصل الوضع المرجع الاعلى في اصلاح شؤون الامم الاسلامية وغرس الملكات الدينية في قلوب المسلمين ونشر العلم بينهم ودلالتهم على ما ينبغي ان يكونوا عليه فى امري الدنيا والاخرة وايقافهم على قبح القبيح وحسن الحسن من الاخلاق والعادات والاقوال والافعال اذ هذا هو المقصد من افراد طائفة بالاشتغال بالعلم وتشييد دور واسعة لهم

ولكن المطلع على حالنا اليوم لايدري هل المقصود من الاشتغال بالعلم الديني هو هذا . او المقصود ان يحوز الانسان مرتباً يقوم بضروريات معاشه فيكون العلم الديني من الحرف يقصد للتعيش او المقصود ان يحوز شرفاً وجاهاً وصفة بين الناس لايحوزها الا

من يأدي الامتحان فيقال زكي نجيب حاز قصب السبق الى غير ذلك من العبارات · او المقصود تكميل الفرق وتتميم الطوائف حتى لايكون المجتمع الاسلامي خالياً من فرقة تسمى (العلماء) تتميماً للنظام وان لم تنفع هذا المجتمع بشيء يذكر · او المقصود المحافظة على التقاليد الاولى والاحوال القديمة ولو بغير معنى · او المقصود وجود فرقة تمثل تلك الفرقة العالية التي اقامت هيكل العلم الاسلامي وشيدت له بيتاً من العز في العصور الاولى كما يكون في تشخيص رواية مثلاً

ولا يعرف ايضاً هل المقصود من العلم ان يعرفه الانسان وان كان لايلاحظه في خلقه وعاداته وعمله او لابد ان يظهر اثر علمه في شخصه قبل غيره · وهل الغرض ان ينحصر العلم بين جدران المدارس الدينية او الغرض ان تكون المدارس كالشمس تبعث منها الانوار فى جميع ارجاء العالم ويكون لها اثر في ترقي الامم الاسلامية مثل تاثير الشمس في انماء الزروع وانضاج الثمار واصلاح هذا الكون

على اني لااريد ان افيض في بيان حال علمائنا وما هم عليه

فذلك شيء موءلم وحسبي منه ما يعلمه الناس وما مست الحاجة لابانته فى سابق هذا الكتاب ولاحقه · ولكني اذكر من ذلك امراً وحداً مهماً هو علة العلل في كل الاحوال · الا وانه مبدأ العلماء اليوم ومشربهم فاقول · ينقسم علماءنا في مبدائهم الى قسمين آخذين بالعادة · وآخذين بالفكر · فاما الآخذون بالعادة فهم جمهور العلماء لايميلون الا لما وجدوا عليه من قبلهم معتقدين ان الكمال فيه سواء في ذلك علومهم ومعتقداتهم والكتب التي يدرسونها وطريقة التدريس والامور الشخصية وسائر الاحوال ·

والاكابر منهم اهل الكمال هم الممتازون بالصلاح والتقوى والنظر الى الآخرة او بالتدقيق في المباحث اللفظية والمعاني الخيالية ولكن مع الجهل بالشؤون العامة واكثر العلوم الضرورية والاحوال العمومية مع الم[illegible] بكثير من المعتقدات الخرافيه والاوهام العاميه ومع الجمود والوقوف عند حد من الفكر والتعقل ادني مما ينبغي ومع الاقتصار من العلم على ما لايكفي ومع عدم النظر الى نشر العلم او تقريبه من الفهم وعدم السعي فيما يصلح العامة وما يعود على الامة بالترقي فى امري الدنيا والاخرة ومع عدم الجراءة في شيء

مما تنبغي البراءة فيه ومع عدم الاهتمام بحال المسلمين ولا بما يطرأ اليوم على الاسلام من اوجه الطعن وعدم الاكتراث باقناع المعترضين ورد المجادلين · بل يكتفون من العلم بتدقيق في الالفاظ وتحقيق لبعض المعاني على ضرب خاص لايفيد الا بعد زمن مديد وجهد شديد

واما الآخذون بالفكر فهم حديثو العهد ولم يزالوا قليلين جداً وهؤلاء يرون ان ما عليه الاولون غير صواب و ينتقدون عليهم في علومهم واخلاقهم وصلاحهم وسائر احوالهم و يرون الكمال في ان يكون الانسان قوي الفكر شديد العارضة صحيح النظر في الشؤون العامة ويعلم من علوم الكون ما يمكنه ان يرقي به لامة و بوقفها في صفوف الامم الحية ويخرجها من الاوهام واسر الجهالة و يتغالون فى ذلك · الا انهم مع هذا يثقون بافكارهم و يستبدون بها و يحكمونها فيما لاينبغي ان تحكم فيه ويكرهون كل قديم مما عليه الجمهور مع عدم اعطاء تربية الملكة الدينية وما يتعلق بامر الآخرة من العناية مثل الذي اعطوه للامور المتقدمه بل مع اغفال ما يقرب الانسان من الملاء الاعلى و يظهر عليه اثار العبودية

والذى اراه نقص المبدأين وعدم كمال الفريقين وان كلا

منهما يبتعد عن الغاية التي ينبغي ان يصل اليها اهل العلم بقدر ما يقترب الآخر منها وان اجزاء الكمال الواجب للعلماء موزعة عليهم لا مجموعة وان كلا مصيب في شيء مخطيء في آخر . فان التمسك بالعادة قبيح كما ان التفه بالفكر توقع الانسان في الخطاء من حيث لا يشعر . بل المبداء الصحيح الذي ينبغي ان يسلكه اهل العقول الراجحه هو كما اقول (لا تقدس العادة ولا تثق بفكرك) بل تأمل وتدبر فعسى ان يكون ما عليه الناس حقا خفي عليك وعسى ان يكون ما رأيته صوابا عقل عنه الناس . وما يتمسك به الاولون من الصلاح والتقوى والانكسار والاقبال على امر الآخرة والتحقق بالعبودية حسن ولكن في موضعه وعلى وجه لا يأدي الى الاقتصار عليه وعدم القيام بالشؤون الواجبة على العالم من حيث هو عالم يلزمه ان يكون ذا نظر وسعة اطلاع والمام باخلاق الناس واحوالهم وحسن بيان وعلم بما يلزم من علوم الاكوان ليمكنه ان يقوم بالواجب عليه للناس حق القيام و يكون لقومه شمسا مضيئة ولاعلاء كلمة الحق وقيام الناس على طريق الهدى سيفا ماضيا ومنارا عاليا فهذا ولجب وهذا لازم ولهذا وقت ولذاك وقت آخر . فالعالم اذا

جن عليه الليل ذلٌ وخشع وانكمش وانخلع عن هذا الكون الناقص واقبل على الحق واقترب من ملكوت الله يسجد ويركع ويسبح ويقدس ويمجد الحق ويناجيه بما شاء حتى تتورم قدماه وينحل جسمه. واذا اصبح اصبح شهماً جريئاً في موضع الجراءة والشهامة يعظ ويرشد ويعلم ويقول الحق ويهدي الى سواء السبيل يساير هذا ويجلس الى ذاك. ان استعمل الشدة في موضعها فمن غير عنف وان استعمل اللين فبغير ضعف لاتفوته شاردة ولا واردة مما يرى فيه صلاح الامة فى امر دنياها وآخرتها فلقد قال الحق في اصحاب رسول الله (اشداء على الكفار رحماء بينهم) وقد كانوا اذا رآهم راءٍ فى النهار ظنهم من قطاع الطريق يشنون الغارة هنا ويعارضون عير قريش هنا وهكذا لاتأخذهم رأفة فى دين الله فاذا اقبل الليل كان لهم ازيز كازيز النحل يذكرون الله تعالى ويسبحونه اناء الليل واطراف النهار لايفترون

وما يغلب على القسم الثانى من القيام باصلاح الامة وارشادها الى طريق سدادها وعدم اغفال الفكر مع الميل الى الترقي فى العلوم والمعارف والاخلاق الخ حسن. ولكن على وجه لايغفل معه

قوام الدين واساسه وهو ايجاد الروح الدينية العالية والتقرب من الملاء الاعلى وتعمير القلوب بالانوار الالهية والمعارف الوجدانية التي هى غاية الكمال لمرتبة الانسان والتي تقرب من الحق جلّ وعلا . وانت تجد اكثر القرآن انما جاء ليدعو الناس الى سعادة وراء هذه السعاده الدنيوية وكمال فوق هذا الكمال الظاهر

هذا ولا بأس ان استعين بالمقارنة والتمثيل بالأئمة الحائزين لخصال الكمال والمشهورين بانواعها واقول ان العالم لابد ان يكون فى جرآءة وعقل وفكر وحسن بيان مثل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده وذل وتواضع وخشوع وصلاح فضيلة الاستاذ الشربيني

بل اقول ان العالم الكامل لابد ان يكون فى اقدام عمرو وحلم الاحنف وزكاء إياس وتقوى ووجدان الجنيد وبلاغة سحبان وعبد القاهر ونحو سيبويه وفلسفة ابن سينا وفقه أبي حنيفة الخ واقول ثالثاً ان العالم الكامل هو من يجمع من الكمال ما جمع الغزالي او يفوقه او يقرب منه واسأل الله الكريم ان يوجد بيننا علماء اقوياء كاملين يكون هذا حالهم وهكذا شانهم انه سميع قريب مجيب

العلماء الحديثون

تهتم فئة كبيرة اليوم بالحصول على العالمية لانهم يتصورونها من موجبات الرفعة والعلو والجاه والشرف ومن اجل هذا تراهم متي جازوا الامتحان ظنوا انه لاكمال .فوق هذا هذا الكمال وانه آن لهم ان يستريحوا من العناء و يبدلوا العمل والجد لعباً ولهواً حتى ان اكثرهم لايؤدي الدروس و يشتغل بالتعليم الا من باب تادية الواجب بحسب الظاهر ولهذا فهم لايعنيهم امره كانهم ظنوا ما قبل الامتحان دار الشقاء وما بعده .دار النعيم وجنان الراحه من عناء الاشغال الجسمانيه والعقليه

وهذا بلا شك غلط كبير ونقص عظيم . اولا لان منتهي ما يمكن ان يحوزه الطالب من المهارة في علوم الامتحان هو على الحقيقة لايعطي صاحبه حق الكمال في العلم بل ذلك كله يعتبر دورا اول وبمنزله تحصيل الشهادة الابتدائية في المدارس الاميريه يكون بعده نشأة اخرى ودور ثاني وثالث في العلم بمنزلة تحصيل الشهادة الثانويه فما فوقها . فكيف واكثرهم قد لايبلغ درجه التوسط في تلك العلوم

وثانياً لانه على فرض الاستكمال فان هناك من الواجب على العالِم من نحو التعليم الخاص والعام والارشاد ما ينبغي ان يكون عمله وجِده فيه واشتغاله به اكثر من عمله وجده واشتغاله ابان التعلم . ولهذا فان نصيحتي اليهم ان لا يركنوا الى الراحة والكسل وان لا يغتروا بالنجاح في الامتحان وان يعلموا ان هذا وحده لا يعطي لصاحبه اسم العالم على الحقيقة وان نسبة النجاح في الامتحان الى ما يصح ان يعد كمالاً في العلماء كنسبة ذرة الى دره وان لا يحرموا انفسهم من السعادة العظمى التي يفتح لهم بابها بالنجاح في الامتحان و يمكنهم التحقق بها اذا ادركوا ان زمن التعلم لم يمض فداوموا على الاشتغال بالعلم تتميماً في العلوم الازهرية وابتداءً في غيرها مما هو لازم ثم جدوا غاية الجد في القيام بواجب العلماء نحو الدين والامة

واضم الى ذلك نصحي بان هذا اللقب الذي للناه لا يزال ينادينا بطلب التاهل له من وجهة الاخلاق والعمل . فان شهادة العالمية ليست من الشهادات الفنية ولا صاحبها يعد معلما فنياً كمعلمي المدارس الاميرية مثلاً بل هي وصاحبها على الحقيقة اعلى من

ذلك وارفع · شهادة لاينبغي ان تعطى الا لاهل العقول الراجحة لالصغار العقول اهل الطيش من الشبان مهما كان زكائهم وتنورهم · ولا ينبغي ان ينالها الا اهل الاخلاق الفاضلة وان لم يزيدوا عن درجة التوسط في العلم · لالسيئي الاخلاق مهما كانت قوتهم في الاصول والبلاغة والمنطق ولا يجوز ان يحرزها الا من يعرف قيمة الدين واهمية مركز العالمية لامن يسعى في تحصيلها من جهة ان صاحبها يبجل عند الناس ويحترم

وعلى الجملة فالعالمية وظيفة سامية تطالب الانسان بواجبات كثيره وحقوق جمة · ونحن معشر الشبان من العلماء رجالها وحملتها الذين تعقد باعمالهم آمال المستقبل · فالواجب ان لانطيع شهواتنا ونخلد الى الراحه واللهو ونكون صغاراً فى الفعل كما نحن صغار في السن · وان لانتبع اباءنا فيما وجدناهم عليه لمجرد انا وجدناهم عليه · وان لانثق بافكارنا ونمشي وراءها فى كل ما تدلنا عليه قبل تخوين الفكر وامعان النظر ومزيد البحث وعظيم التروي كي لانعدل عن طريق الحق ونضل ضلالاً كبيراً من حيث لانشعر · وان ننظر الى سائر الاشياء فى هذا العصر حيث قد

جرت كلها شوطاً بعيداً فى التقدم والارتقاء تبعاً للسنن الكونية ليكون لنا منها عبرة وموعظة تبعثنا على التقدم . وان لانزيد في هذا النظر من غير ان نعرف ما هو كمالنا على التحقيق فنتسرع وننتقل من حالنا الاول الى ما ليس كمالاً لنا باسم التقدم والترقي ومجاراة الاشياء في تقدمها وانقلابها فيكون حالنا من باب التقليد المضر الناشيء عن الاغترار وقصور النظر والثقة العمياء بالفكر . اقول قولي هذا واعتقد اني من اكثر الناس قصوراً وتقصيراً وانه لااحد احق ولا احوج منى لنصيحتي هذه وغيرها والسلام

دعوة العلماء الى الاتفاق

لقد اجمع سائر العقلاء من سائر الملل على انه لاشيء أولى وانفع من الاتفاق . كما اجمعوا على ان السبب الظاهر لنمو الامة الاسلاميه وانتشار الدين في سابق العصور و العامل فى تلك الانتصارات الباهرة التي علت بها كلمة الاسلام في بدء وجوده انما هو الاتفاق . وانه ما اضعف الامة واخرها وفرقها ايدي سبا واوقعها فى الذل والهوان تحت الاحكام الاجنبية الا التفرق والاختلاف وعدم العمل بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

وقوله (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) وقوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء)

وقد كان اكبر عامل فى هذا التفريق الانتصار للرأي وجعل الخلف فى المسائل العلمية والمذهبية موءثراً على اصل الوحدة وقاطعاً للعلائق الشخصية ومسبباً للبغض والكراهة . حتى تفرقت الامة احزاباً وفرقاً وشيعاً (كل حزب بما لديهم فرحون) ولان كان الاولون اندفعوا في هذا التيار بحسن نية مكونين مبادي الخلاف والتفريق جاهلين نتائجه المهلكة وعواقبه الوخيمه فليس من العقل في شيء ان نوقد نحن الآن نيران هذا الخلاف والتدابر والتخاذل والتحاقد والتخاصم بعد ما رأينا باعيننا وسمعنا باذاننا ولمسنا بايدينا وذقنا مرارة عواقب الخلاف التي بها وصلنا الي ما نحن فيه من الذل والهوان

ولأن كان الخلاف مضراً بين سائر الطبقات فليس اشد منه ضرراً بين حماة الدين ورجال العلم وعلماء الارشاد . كما انه ليس اغرب من وقوعه بينهم وهم ينبغي ان يكونوا اعلم الناس

بمضاره

هذا الخلف بينهم اشد خطراً على الجامعة الدينية منه بين الملوك والسلاطين لانهم مصدر القوة العالية الروحانية وهي اعلى واصل للقوات الحسية التي في ايدي الملوك . فمع اتفاق العلماء يعدم خلاف الملوك او يقل ضرره. ولكن من الاسف ان علماءنا اليوم تكاد ان لاتربطهم الا رابطة الانتساب الي بقعة الازهر مثلاً

خلاف في العقائد . خلاف في المذاهب . خلاف في المشارب . خلاف في المبادىء . خلاف في الاخلاق . تحاقد . تحاسد . تخاذل . نظر الي السفاسف . لايكاد يخلو مجلس لهم من ذم الآخرين . يبذل كل جهد الطاقه في رفع شأنه وتحقير غيره والحط من كرامته . تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الم تكفنا تلك المحن مواعظ . الم تكفنا هذه المصائب عبرا . الم تكفنا تلك الدروس التي تلقينا فيها مضار الخلاف مدة الف وثلاث مائه سنه . ما هذا الحال . ما هذا الانقلاب . ما هذا الذهول . اهذه تعاليم دينكم . اهذه ارشاداته . اهكذا

يصح . اهكذا وصاكم الله ورسوله . تالله ان هذا لعار كبير ونقص ظاهر حقرنا في اعين الناس حتى الاسافل وجلب علينا وعلى الامه اشد المصائب . وجعلنا منظورين بعين الازدراء والسخريه والمقت من الناس اجمعين

مالنا كلما قابل احدنا الآخر في مجلس او طريق نفخ كل كبرا واراد كل ان يعلو على الآخر و يفوقه و ينظر الي الثاني نظر الاحتقار (اللهم الا في قليل الاحوال)

ما لنا كلما اجتمعنا يتصور كل منا لنفسه ناموساً وهمياً يحافظ عليه ولو بنصرة الباطل

ما لنا كلما اجتمعنا كان همُّ كل ان يظهر على غيره فضله وعلمه . ما لنا يسيء احدنا ظنه فى الآخر لاقل حادث بل وبدون سبب . ما لنا يغتاب بعضنا بعضاً بحق او بدون حق

ما لنا نستهزيء ونزدري بمن يري انه يمكن ان نكون علي احسن مما نحن عليه . ما لنا نتقدم ونتقرب الى كبرائنا بالنميمة بينهم . ما لنا نتافق مع رؤساءنا فمتي جلسنا اليهم وافقناهم ومتى فارقناهم ذممناهم . بل ما لنا نخاف منهم فلا ننكر عليهم فى

مواجهتهم ما نراه غير موافق ولكن مع حسن النية وتمام الأدب

ما لنا نرضى بتضحية المصلحة العمومية فى سبيل المنفعة الخاصة . ما لنا كل يعد غيره جاهلاً وانه هو المتفرد بالعالميه . ما لنا لاتتناصح ما لنا لاتصافى . ما لنا لاتوادد . ما لنا لاتتحاب . مالنالانؤلف المجتمعات النافعة ونشرع فى المشروعات المفيده لنا وللامة . ما لنا لايشد بعضنا ازر بعض . ما لنا لايحس احدنا بالواجبات التي لاخيه وللامة عليه . ما لنا جمدنا على حال واحده فلا نرضي سواها وان كان حقاً . ما لنا لانحسن النظر ونأخذ من كل شيء احسنه . ما لنا نكره الاصلاح وان كان لنا فيه تمام العز والشرف . ما لنا لانتحقق بالخضوع والتذلل والتواضع وهي اصول الخير واسباب الفلاح . ما لنا متي رأينا عورة لبعضنا احببنا ان نظهر . ما لنا يحقر كبيرنا صغيرنا وصغيرنا كبيرنا . ما لنا لانسعي في اعلاء كلمة الله وترقية امتنا واصلاح مفاسدها ما لنا ما لنا ما لنا وكم الف الف مرة اقول ما لنا . السنا نخاف الله . السنا نخشى العقاب . السنا محاسبين امام الله . اليس مردنا الى

الله . لاحول ولا قوة الا بالله . تالله ان الدنيا بحذافيرها لأحقر من ان تفرق بين اثنين من المسلمين يخافان الله ويعلمان ان الدنيا لاتدوم وان الاشياء كلها فانية

اما نعلم ان الشعور الديني كاد ان يتلاشى من نفوس كثير من المسلمين خصوصاً المتنورين واهل الطبقات العليا . اما نعلم ان تيار التمدن الاوربي وسيله الجارف قد جرح امور الدين الثابتة واخذها امامه لجهل الناس بان التمدن لاينافي التدين اما نرى ونبصر ان الدين قد انحاز باهله وصار يعتبر من الاحوال الشخصية والامور الاستحسانية التي تختلف باختلاف الاذواق . اما نعلم ان الامة واقعة الآن في بيداء جهالة مظلمة ما بين اعتقاد عقائد مضلات بل مكفرات . وما بين اعتقاد خيالات وخرافات واتباع شهوات . اما نعلم ان الامة قد لامست قلوبها مقدمات المباديء التي تعدها لخلع ربقة الدين وحلت في صدورها طلائع مكروبات الجحود الزاحفة . اما نعلم ان اعداء الدين يستعملون كل حيلة في سبيل تنصير المسلمين ويبذلون في ذلك النفس والمال . اما نعلم ان شبهاً كثيرة وكتباً جديدة

تنشر كل يوم فى الطعن على الاسلام والرسول . اما نعلم ان هناك اقواماً يبذلون جهدهم في ان يترك المسلمون الاسلام و يعتقدوا ديناً جديداً وقد اتبعهم كثيرون من المسلمين فى غير هذه البلاد . اما نعلم ان الامة خذلت وضاعت وتفرقت فى ايدي الاجانب كالسبي

كل هذا لانفكر فيه ولا نحس به ولا نتألم منه ولكننا نشتغل من العلم بتحقيق بعض معانٍ خياليه لااثر لها في الخارج ثم يكون الامر المهم والشغل الشاغل (انا مستحق كسوة تشريف . انا مستحق النقل . لماذا فلان ياخذ بدل كسوة وانا لا . لماذا ينقل للدرجه الاولى وانا لا . فلان جاهل . فلان وقح . هل طلعت اليوم عند المفتي . انا طلعت . ذهبت اليوم لزيارة شيخ الجامع . ماذا عملوا اليوم . سيقلبون كيان الازهر . شيخ الجامع لاينفع . فلان بتداخله تحصل على كذا . الشيخ فلان يكره فلان فلان محسوب المفتي . فلان محسوب الشيخ . فلان رجل بطال . فلان رُتب فى جامع كذا . فلان عطل على فلان) الى غير ذلك من الامور التافهة المحزنة التي تدل على ما تدل عليه

ولهذا فهيا ان المسكين انجاسر وادعوهم جميعاً باسم التقدمي المحبة والصفاء والاتحاد والتعاون والاتفاق وعدم الاعتناء بتافه الامور وعدم تقديم المصلحة الشخصية على العامة وعدم الايذاء والغيبة وطلب الكمال من اوجهه الحقيقيه والحرص عليه والالتفات نحوه والتنافس فيه وعدم الجمود على حال معين وعدم الاستبداد بالفكر وان لانظر الى الشخصات بل الى المميز النوعي الذي تصير به نوعاً واحداً بازاء انواع كثيرة وفرق متعددة من الناس

وادعو كبرائنا وعظمائنا ورؤسائنا الى القيام بهذه الدعوة وتأييدها بالتنازل وحسن التاليف وعقد المجتمعات وبذل النصح والتحبب للاصاغر والاكابر والتجاوز عن السيئات والكف عن الغيبة وجميع الطرق الممكنة فان مقالهم يسمع وامرهم يتبع وحالهم يقتدى به وهم اولى الناس بذلك والله ولي التوفيق

نوال العالمية

علمنا مما تقدم ان العالمية حمل ثقيل وامر خطير ووظيفة سامية وامر عال لاينبغي ان يعطى جزافاً ولا ان يحابي فيه. واذا كانت الاشياء كلها يعد من النقص الكبير عدم اعطاءها حقها

واستذهاب من لا يستحقها فان اشد النقص نقصاً واكثر التهاون ضرراً اسناد العالمية لغير اهلها لان في ذلك خطراً على الدين . اذ العلماء اصله وحماته وحراسه ودعائمه التي يستند اليها بل اساسه الذي يبنى عليه والخطر لا يأتي على المملك الا من ضعف حامليها ولا على المملك الا من عدم كفائة حراسه والخوف على الهيكل القائم يكون من جهة دعائمه واساسه الذي يقوم عليه

اني لااجد ارتباطاً بين شيئين ولا امراً له دخل في جميع اجزاء الآخر ولا سبباً يتوقف عليه وجود المسبب اكثر من هذه المعاني بين كفائة العلماء وقوة الاسلام وعلو كلمة الدين وتقدم المسلمين . كما اني من اجل ذلك لااجد امراً احق بالعناية والتروي والتحفظ والتامل وامعان النظر اكثر من اسناد منصب العالمية الى طالبيه

ولذلك فاني اغمض عيني عمداً لكي لا ارى اشمئزاز وغضب بعض العلماء والطلاب واقول موجهاً وجهي للحق ان طريقة الامتحان الآن متوجه وغير كافيه بل ومؤديه الى ضرر بين وانحطاط شديد وفساد ظاهر

وبيان ذلك ان هذه العالميه ليست مأخوذة بالمعني اللغوي حتى يكفي فيها مجرد العلم كما انها ليست من المعانى الاصطلاحيه حتى يكفي فيها مجرد المواضعه والاصطلاح على ان من كان كذا فهو عالم ومن لا فلا . وانما هي منصب الرئاسه الدينيه والوراثه لمقام النبوة والقيام بخاصة ما كان يقوم به سيدنا الرسول من واجب الهداية والارشاد

فهي لهذا لايكفى فيها علم ما . ولا كمال العلم فقط . بل لابد ايضاً من الكمال فى الاشياء الاخرى المبينة فى باب كمال العلماء

ولكن الجاري الآن انهم يكتفون بعلم دون القدر اللازم ويهملون ما عدا العلم من الواجبات الاخرى التي لابد منها وضرورة العالمية اليها كضرورة الشيء الى نفسه او جزءه . فالكلام اذاً فى امرين الاول اهمال ما عدا العلم من الامور اللازمة والثاني الاكتفاء في العلم بما لايكفى

اما الاول فمن الواجب ان الطالب لايكون عالماً الا اذا تحقق من كمال استقامته . وحسن سيره وسيرته . ووفور عقله .

وحسن خلقه · وعلو همته · وعدم جبنه · وعدم جموده · وعدم جرأته على انتهاك الحرمات · وعدم كذبه · وعدم تمسكه بالعادة وعدم طيشه · وعدم ثقته بفكره · وعلمت عقائده · وامياله · ومشربه وانه الى اي غايه يرمي · وعلى اي مبداء يسير · الى غير ذلك من الامور التي يجب تحققها في العالم من حيث هو قدوة للامة وامام الناس وصاحب الارشاد وتهذيب الاخلاق واصلاح الفاسد وهدايه الضال واقرب الناس الى صاحب الشريعه (بحسب ما يجب لا بحسب ما هو موجود)

ولكن مما يوجب الاسف انهم اليوم يهملون هذه الاشياء اهمالاً كلياً ولا ينظرون في الحقيقه الا لمجرد الاجابه فيما اعتادوا ان يسألوا فيه من مسائل العلم · وفي ذلك الخطر المحقق على العلم والدين والامه وكيف لا وليس في تعلم المدارس الدينيه ولا نظامها ضمانه للاستقامه ولا حسن الاخلاق ولا شيء مما تقدم بل ليس فيه ضمانه للقدر المطلوب من العلم في الامتحان الآن ايضاً · الا ان هذا يحصله عدد اقل من الواحد في المائه من الشبان الازكياء بجدهم واجتهادهم · ولكنهم في غيره على حال

السذاقة والانحطاط الادبي

ليس من العجيب ان يبلغ التهاون في اعطاء منصب العالمية الى حد ان يأتي الطالب امام لجنة الامتحان وهو غير معلوم اصلاً ليأدي الدروس المعينة له · من غير ان يعرف هل هو من الفاسقين او المتقين · من الزائغين في الاعتقاد او من المعتدلين · من غير ان يعرف مبدأه ولا مشربه · من غير ان يعلم هل هو سيجلب للعلماء فخراً وشرفاً اعلى او سيورثهم بفعله عاراً وصغاراً لايمحى مدى الابد · ليس من العجيب ان هذه الزمر من الشبان الذين نشأوا امراء نفوسهم وقوادها الى خير او شر والذين لم يذوقوا طعم التربية ولم يحسوا بالواجب الانساني فضلاً عن الديني ولم تسمو مداركهم ولم تستكمل عقولهم ولم يعرفوا للعالمية قيمة الا انها ذلك الشيء الذي يورث الانفة والاستكبار وانتهاء التعلم وكون الانسان اهلاً لان يحترم عند ابناء جنسه وامثاله وتقبل يده من صغار التلامذة المتعلمين · يدخلون الامتحان وبكل سهولة تعطى لهم الدرجات العالية متى وجدوا ثابتين في فهم مسألة الامر بواحد او مسألة مطلق المقدور · والايراد المذكور)

انا لااريد ان اتكلم عن ان الذين دخلوا الامتحان كاملون من هذه الوجهة او غير كاملين وانما اريد ان اقول ان طريقة الامتحان ليس فيها ادنى ضمانة لتحقق الكمال وانه على فرض حصوله فهو من باب الصدفه والمشيخة متوفرة على كل حال

انا لااري خطراً اكثر من ترقية من لايستحق خصوصاً من هذه الوجهه . ولأن يكون العلم ضعيفاً في المعلومات كاملاً من هذه الجهه خير من العكس

انا لاانكر ان معرفة الحقيقه في هذه الامور صعبه وربما ادى البحث الى تاخير بعض المستحقين . ولكن ارى هذا اهون من اعطاء العلمية لاحداث اوشيوخ من اهل الصفات البهيمية الاخلاق الحيوانية ممن يجلبون العار للاسلام بل ممن يعملون لمحو ولدين من حيث يشعرون او لايشعرون

قد يكون في طلاب الامتحان اهل الجهل المركب (في غير مسائل الاصول والنحو وغيرها من مواضيع الامتحان) واهل الثقة والغرور بالفكر الذين متى صاروا من العلماء بثو مبادئهم الخبيثة بين الناس

قد يكون من طلاب الامتحان اهل الجمود الذين يقفون عقبة فى طريق كل تقدم . قد يكون منهم اهل الصفات الدنيئة الذين يحطون من قدر العالمية والعلماء

قد يكون منهم اهل الرعونة والطيش وسوء الخلق بل وسوء الاعتقاد و . و . و . الخ الخ الخ

ولهذا فانى ارى انه لابد من التشديد فى ذلك وان المسئوليه في هذا على المشيخه الازهريه التي يجب ان تخصص شطرا عظيما من اعمالها لامثال هذه المباحث ولمثل هذا التحري

ولاجل ذلك فلا بأس من تقليل عدد الممتحنين ان دعت الضرورة فان الكثرة على هذا الوجه مضرة والعاملون عليها انما يعملون لاتساع الخرق واعضال الداء ويفتحون باباً يدخل منه اللصوص والسفلة الى اعلا المقامات واشرفها . وواحد كالف . والف كل شيء . ويكاد يكون هذا هو المحقق اليوم

ولا يتوهمن احد ان الشهادة في الازهر كالشهاده فى مدارس الحكومه مثلا تعطى لكل طالب نابغ فى العلوم فان تلك شهادة فنية المدار فيها على العلم اما هذه فشهادة رئاسه دينيه لابد فيها

من العمل مع العلم

ومن هنا يمكنني ان اقترح انه اذا لم يمكن الجري على ما رأيت اولاً فليجعل هذا الامتحان فنيا وليدخل فيه من شاء من الطلاب ولكن على شرط ان لايعطي فيه لقب (عالم) بل (مدرس) مثلاً فيكون هناك مرتبتان ولا يرقي الى العالمية الا الواحد بعد الواحد ممن توجد فيهم الكفائة والاهلية بقطع النظر عن التقدم في السن او طول مدة التدريس

وهناك من الواجبات الاخري (احسان التعليم) وبديهي ان ذلك لايستلزمه الكمال فى العلم وهو مع ذلك من اهم المهمات التي يترتب عليها سعادة الطلاب او شقائهم فمن الواجب ملاحظة ذلك في اعطاء العالمية ولا بأس ان تعتبر هناك درجات متفاوتة فى التعليم حتي يكون هنالك من يحرز الدرجة الاولى في العلم والثانية او الثالثة في التعليم وان يعتبر لهذا المعنى امتيازآخر

واما الامر الثاني وهو الاكتفاء من العلم بما لايكفى فذلك من وجهين احدهما الاقتصار على بعض العلوم والثاني الاقتصار فيها علي ما هو اقل من اللازم . وبديهي ان العالم لابد له من

شيئين · فكر وقاد · ومعلومات كافية · ولكن يظهر انهم اليوم لايعولون الا على اصل التميز والفكر بقطع النظر عن المعلومات حتى انني سمعت من ان افاضل علماء الامتحان انهم يكتفون بان يقرروا الحق للطالب فان امكنه ان يعيده كما قالوا كان من الناجحين · وهذا غلط بيّن بل الواجب ان لايكتفى باصل الذكاء بل لابد ان يكـون فيه متوسطاً على الاقل · ثم المعلومات لابد منها لانها هي التي تفصل العالم عن غيره من سائر افراد الامة المتنورين · وما اجدر العالم الذي لاتكون عنده المعلومات الكافية بان يسمى (عالم المراجعة) وان يسكن المكاتب العمومية ولا يخرج منها لكي لاينسلخ منه معنى عالم

ولذلك ارى ان يكون من شرائط النجاح ان يحفظ طالب الامتحان فى كل علم متناً متوسطاً على الاقل يفهمه ولو فهماً بسيطاً وليكن من ذلك القرآن فلا بد من التاكد من حفظه ولا بد من العناية بالتفسير بحيث تكون اقل مراتب النجاح فيه ان يسئل عن المعنى البسيط لكل آية فلا يتاخر · وكذا لابد من العناية بالحديث · فلا بد من معرفة المصطلح ومن التاكد من

انه اكثر الاطلاع على كتب الحديث . ولا بد ان يحفظ متن مائة حديث من جوامع الكلم والاصول الكليه على الاقل . وفى علم الاصول لابد من الافاضة في بيان مدارك المجتهدين على الوجه المقبول وترجيح احدها بادلة معقولة . وفي النحو والصرف لابد من التاكد من انه لايلحن ولا يغلط وانه يمكنه قراءه العربية على البديهة بلا لحن والتكلم بها كذلك . وفي البلاغة لابد من عرض آيات وجمل من الكلام عليه ليبين ما فيها من نكات البلاغة . وليفض فى بيان ما فيها من اوجه الحسن التي يقبلها الذوق وما فى غير الآيات من ضد ذلك ان كان . وليكن هذا كله بعبارات بليغة موءثرة . وفي المنطق لابد من التاكد من ان له فيه ملكة يمكنه بها ملاحظة اصوله فيما يستعمل فيه فكره بسهولة . وفي التوحيد لابد من التاكد من الاطلاع على كثير من الاراء والمذاهب الفلسفية وغيرها ومعرفة تاريخ مذاهب التوحيد . ولا بد من عرض مسائل خلافيه عليه ليقرر رأيه فيها بقطع النظر عن المكتوب . كما ان لابد من حفظ متن تهذيب الكلام على الاقل

وفي الفقه لابد من التاكد من الالمام بفروع مذهبه على الاقل بحيث يمكنه ان يفتي كل من يستفتيه بالحق اما العلوم اللازمة زيادة عن هذه فهي بقية العلوم المبينة في (باب العلوم) فلا بد من التاكد من الالمام بالمقادير اللازمه منها الموضحه هناك ايضاً

وقبل النهايه لابد ان انبه على وجوب الاختبارات العموميه التي يعلم بها الاطلاع والتنور العام والفكر المعتدل والنظر السليم كما انه لابد من التاكد من الجراءة وقوة الانشاء والتاثير بالعباره والخطابه الخ الخ والله ولى التيسير

مرتبات العلماء

اذا قيل للبوءس اين تسكن فلا شك انه يخصص بيوت العلماء المدرسين بالاشاره . واذا قيل للفقر وسوء الحظ من ترافقان اشارا الى العلماء . اي نعم هم التعساء البوءساء اهل ضنك العيش والفقر المدقع . هم افقر الناس واشدهم احتياجاً . فى حين انه كان ينبغي ان يكونوا من اغني الناس واهدإهم بالاً من جهه حاجيات المعيشه . ذلك لانه لاشيء احوج الى صفاء الفكر وراحه البال

وعدم الاشتغال بامور المعاش من العلم والاشتغال به · وفي ذلك من الامثلة ما هو كثير مشهور· روي عن ابى يوسف انَ جاريته قالت له يوماً وهو نازل فرغ الدقيق فدهش ولم يدر اصاعد هو ام نازل وذهبت من فكره كذا كذا مسئلة من اصول العلم ولم تعد له · وحكوا عن الامام الشافعي لو كلفت بملح الطعام ما ما تعلمت العلم · وقد لاحظت الشريعة ذلك وان المجتمع فى اشد الحاجة اليهم ففرضت لهم الكفاية من بيت المال · الا انهم اليوم لهم حال يبكي العقلاء ويضحك السفهاء · حال لايرضاه سواهم ولا يعيش به غيرهم · حال لاادري أأتخذه عذراً في عدم قيامهم بالواجب عليهم (كما يقولون) ام اقول انه جزاء من الله على تقصيرهم ام اقول انه بلاء ابتلاهم الله به

لعل كثيراً من الناس لايعلمون ان العلماء في مرتباتهم لايساوون الفعلة وخدمة البيوت وان ما ياخذونه من المدارس لايقوم بحاجة اقل انسان اذا كان مع زوجته فقط ولكن العالم قد يكون في عائلة تبلغ العشرين

تالله ان ذكر مرتباتهم مخجل و ربما نقصهم في اعين من يرى

ان قيمة الانسان على قدر مرتبه وهو الفكر السايد عند اكثر الموظفين ولكن لابد لى ان اقول ليلتمس الناس لهم عذراً وينظروا اليهم بعين الرحمة والشفقه

اقول مرتبات مع ان الامر اهون من ذلك واحقر (٧٥) غرشاً لعلماء الدرجة الثالثة و (١٠٠) لعلماء الثانية و (١٥٠) لعلماء الاولى وقليل ما هم. وقد توجد زيادات لقليل من العلماء قد لاتتجاوز الخمسة جنيهات. هذا فى الازهر اما علماء الجامع الاحمدي فلم يكن لهم شيء الا شيء قليل من فضل الصدقات الواردة في المقام الاحمدي وقريباً رتبت لهم مرتبات هكذا * (٤٥) غرشاً لاهل الدرجة الاولى و (٣٥) للثانية و (٢٥) للثالثة . ومما يحسن ايراده هنا ما حكاه لي بعض العلماء حيث قال قسمت مرتبى الشهري على الدروس التي القيها في الشهر فخص الدرس الواحد اثنين مليماً

فاي شقاء وبلاء اكثر من هذا الحال وكيف يتسني للعلماء معه القيام بالواجب ولماذا لايتعلمون صفات النقص ولماذا لايشترون بايات الله ثمناً قليلاً ولِمَ لايكذبون ويخضعون للحكام ولم لايتملقون

ويناقضون ويتواضعون في غير موضع التواضع وكيف يمكنهم مع هذا التدريس واتقان التعليم والارشاد

تالله ان من يتامل حالهم يعلم انهم في عمل شاق وعيشة ضنك واحوال لاتجمع الا لهم ولا يرضى بها سواهم

كيف يجوز ان يكون اصغر المعلمين في المدارس الاميرية وسواها لا يقل مرتبه عن اربع جنيهات ويكون للعالم جنيه واحد في حين انه اعلم منه ويؤدي للامة خدمة كبرى ويشتغل فى الدروس اكثر من كل معلم في المدارس . انا لاادري مع هذا كيف يتحملون هذا الحال السيء ولا يخرجون ليكونوا من معلمي العربي مثلاً في المدارس الخارجية ليساووا في المرتب من هو اقل منهم لاشك ان الصبر على ذلك من اعظم ما يمدحون عليه وينبغي ان يدعوا الى النظر اليهم من اولياء الامور

كم من رجل زكي عالم فاضل انقطع عن العلم واشتغل بالزراعه او التجارة لانه يعلم ان مرتب الازهر لاينفعه ان هو اشتغل وصابر حتي ينال درجة العالمية

كاد الفقر ان يكون كفرا . لو رأى الانسان العلماء وتهافتهم على صغار الوظائف من نحو خطبة وامامة ومقرأة وما يبذلون من ضروب الضعة والخضوع والتذلل فى طلب امثال هذه الوظائف لعذرهم وعلم ان ذلك نتيجة الاحتياج . لو رأى الانسان العلماء وتزلفهم لبعض الاغنياء وارتياحهم لياخذوا من بعض الصدقات واقبالهم على تناول ما يسمونه (اسقاط صلاة) ورضاهم بجريان رسومه عليهم في المحافل العامة فينبغي ان يعلم انهم ما دفعهم على ذلك الا مزيد الفقر وعظيم الاحتياج

العلماء لابد لهم من النخوة والشهامة وعدم النظر الى كبير او صغير وهذا يستحيل ان يكون مع الفقر . العلماء اذا لم يكونوا في سعة لم يمكنهم ان يرفعوا اصواتهم بالحق

لو تامل العاقل عيشة العلماء وجدها عيشة مرة فان اكثرهم لايتمكن من احضار زوجته واولاده لمصر او طنطا مثلاً بسبب فقره ويظل هكذا طول عمره محروماً من التمتع برؤية اولاده الا في المسامحات ومع هذا فمتى جاء وقت المسامحة وجدته في ضيق وحيرة لانه يجب ان لايرجع لاهله الا بنفقة وكسوة ولكن من

اين يتحصل على هذا ومرتبه غير واف باصل المعيشة . فلهذا هو لايهنأ له بال ايضاً في الايام التي يمضيها مع اهله فى بلده خصوصاً وامرأته لاتزال تنكد عليه بسبب ذلك الشقاء الذي اوقعتها فيه يد الاقدار ولا تزال تطالبه باشياء يعجز عنها . العالم اذا قدر الله له ان يوظف اماماً او خطيباً او فى مقرأة ليتحصل على ثلاثين غرشاً مثلاً فيضمها الى ماهيته و يأتي باهله الى مقر تدريسه عاش معهم مرّ العيش وذاقوا جميعاً من آلام الضيق ما لايصبر عليه احد وربما كانت عائلته كبيرة فلا يكادون يشبعون خبزاً ثم هو لايزال فى شغل شاغل من اجل قضاء مصالح البيت ولوازمه. العالم قد يظل طول يومه مع الناس او فى الجامع يتشاغل ولا يذهب لبيته لان هناك امراته تطالبه باشياء كالتي اتى بها زوج جارتها وهناك بنته وابنه يطالبانه باشياء كالتي يأتى بها الاباء لابنائهم وهو لايملك شيئاً من الدراهم وربما كان لايقدر على سؤال الناس ولا يزال ينتظر فرجاً يأتيه من دعوة تاتيه لقرائة البخاري او لحضور اسقاط صلاه او استفتاء في مسئلة زوجية او طلاق وقد يلجئه الاضطرار فى هذه الحالة لان يفتي على اهواء

من استفتوه بضروب من التمحلات والتأويلات طمعاً فى نوال شيء منهم على رأي القائل من متقدميهم (نحن مع الدراهم قلة وكثرة)

العالم ربما يمكث فى الجامع يدرس طول يومه وبيته محتاج للقوت اليومي وليس معه ما يفي به

فاي حال اسواء من هذا الحال واى عيشة اشد ضنكاً من هذه العيشة واي عذاب اكثر من هذا العذاب

تالله اني كلما تذكرت هذه الاحوال كدت اتقطع اسفاً وتحسراً على سادتى وحزبي وابناء جنسي من افاضل اساتذتي واخوانى الذين لاراحة لي الا فى راحتهم وعلوهم وكمالهم ولا يهناء لي حال الا ان اجدهم فى بسطة من العيش واعلى مرتبة من مراتب الكمال (اما انا فعندي والحمد لله ما يكفيني) فلاجل هذا ارى انهم يستحقون النظر والشفقة من الحضرة الخديوية ومن اغنياء المسلمين وان هذا الاصلاح والكمال الذي انا بصدده لايمكن ان يتم الابالمساعدة المالية وخير ما تصرف فيه الاوقاف الخيريه مثل هذا الاصلاح